النزعة الانسانية في الأدب العربي الحديث

الآداب تستفتي

هل صحيح ان النزعة الانسانية ضعيفة في الادب العربي الحديث؟ اذا كنتم تعتقدون ذلك، فما هي اسباب هذا الضعف، وما السبيل الى معالجته ؟ .

جواب الاستاذ سلامة موسى

أجل . ان النزعة الانسانية في الادب العربي الحديث ضعيفة بل اكاد اقول انها معدومة .

وعلة ذلك ان الادباء العرب لا يزالون يتعالون على الشعوب التي يعيشون بينها ويأكلون لقمتهم من كد ابنائها . بل ان منهم من يكرهون الفقراء . وقبل سنوات عيرني كاتب، يوصف بأنه كبير ، باني اسكن في حي الفقراء في القاهرة ...

اي ان الفقراء مكروهون محتقرون .

ما الذي يجعل الكاتب انسانياً ؟

هو ان يعيش في طبقات الشعب ويعرف الثراء والفاقة، واحزان الناس وافراحهم ، وقوة العلم على تعميم الرفاهية ، ومحو التعاسة . وعندما يفعل ذلك يجد ان قلبه وعقله مع الفقراء وعندئذ يشتغل بالسياسة ويأخذ من هذه السياسة بالمذهب الاشتراكي .

ولا يمكن كاتباً عربياً ان يكون انسانياً الا اذا كان قد درس السياسة ووصل منها الى المذهب الاشتراكي .

ولا يمكنه ان يكون اشتراكياً الا اذا كان يعرف بل يوقن ان العلم يستطيع ان يمحو الفقر والشقاء لانه يزيد الثراء. ويجعل العمل المنتج مستطاعاً بلا ارهاق او كد . وعندئذ يتاح للعامل (وكل رجل او امرأة في الامة يجب ان يعمل) ان يجد الأجر الكافي لرفاهيته . ويجد الفراغ لتثقيف ذهنه وجسمه. ويجد الظروف الاجتماعية التي تتيح له الحب والابوة وسعادة الاخاء البشري وحرية الفكر ، هذه الحرية التي لا تعد حقاً للانسان بل واجباً . لانه لا يمكنه ان يكون انساناً اذا ارتضى لنفسه العبودية للتقاليد المظلمة او الغيبيات المضللة او الاستبداد المذل .

جواب الاستاذ رئيف خوري

النزعة الانسانية في الادب ! ماذا تريد بها ؟ اتريد بها تلك النزعة التي تجعل من الانسان موضوعا للادب يدور عليه ولا يحيد عنه ؟ ولكن هذا الموضوع ياصاحبي خضم عظيم ، لا مقاس لعمقه ، ولا لسعته ، ولا حصر للخلجان والبحيرات التي يتشعب فيها ، ولا للانهار والجداول التي تنصب فيه. وبعد ، فموضوع الانسان – على الاقل – موضوعان : الانسان جماعة (اي : المجتمع) والانسان فرداً . ولا يقل قائل ان الموضوعين متشابكان، فهذا لا يعني انهما غير متمايزين . ثم ان الانسان كائناً منصوباً في وجه الطبيعة ، هوموضوع. وكذلك الانسان كائنا مصارعا او معاونا للانسان في قلب المجتمع هو موضوع آخر . واحسب ان الادب الذي يدور على احد هذه الموضوعات ، وان في اطار انساني عام او قومي خاص ، قابل لأن يوصف بالنزعة الانسانية .

فاذا اتفقنا على هذا ، لم يكن لنا ان نقول ان النزعة الانسانية في الادب العربي ضعيفة من كل وجوهها . لا ، فان في قصائد حافظ إبراهيم ، مثلاً ، التي شن فيها الحملة على الاستعمار البريطاني وتغنى بمصر ، وغنى حقوقها ، نزعة انسانية مشتقة من العاطفة الانسانية الاصيلة ، عاطفة القومية وحب الاستقلال القومي . وكذلك قصائد خليل مطران التي دمغ بها الطغاة تشتمل على نزعة انسانية مشتقة من العاطفة الانسانية الاصيلة التي هي الحرية . ومثل هذه النزعة نلمسها حارة قوية في كثير من شعر شوقي وسواه من بقية شعرائنا المحدثين . وكذلك قصص المنفلوطي مثلاً تتنفس عن لوعة والم لحظوظ البؤساء ، وذلك ايضا لون من النزعة الانسانية .

ولكن مع ذلك تبقى جوانب كثيرة من النزعة الانسانية غير ممثلة في ادبنا الحديث . واولها : الانسان منصوبا في وجه الطبيعة يتحداها ليسخرها بعلمه وعمله . فان الحياة العربية لتتحمل مثلاً رواية عظيمة ينشئها كاتب موهوب في موضوع احياء الصحراء ، ولو كان تأليفه مضطراً ان يأتي اليوم تخيلاً كتخيل «جول فرن» ...والجوانب التي نجد فيها نزعة انسانية في الادب العربي الحديث ، كالقصائد والفصول في المناداة بالتحرر القومي والاصلاح والعدل الاجتماعي ، ما زالت تتحمل التعميق والتوسيع . ومرد ذلك في رأيي الى كسل ادبائنا عن معالجة الفنون الادبية التي يشهد التاريخ بانها هي دون غيرها مطيعة لان تتجلى فيها النزعة الانسانية قوية تامة . فلم يجد ادباؤنا من هذه الفنون الا القصيدة الغنائية القصيرة ، فاما الرواية والمسرحية والملحمة فمازالت تنتظر ادباء العرب الذين يبدعون فيها . ان النزعة الانسانية في ادب كاتب عالمي مثل تولستوي او بلزاك لم تظهر في مقالة كتبها بل في رواية طويلة صبر على إخراجها ممثلة لعصر وموجهة لعصر .

مرة اخرى اقول ان الكسل والسرعة وايثار السهولة هي الآفات المسؤولة عن ضعف النزعة الانسانية في ادبنا الحديث ، بل عن ضعف ادبنا الحديث بجملته . ولا علاج لهذه الآفات الا بان ينشأ لنا جيل ادبي جديد ، شرط ان يهتم هذا الجيل بايجاد ادب فملا اكثر من اهتمامه بالتحدث عن ضرورة ايجاد الادب ، وكيف ينبغي للادب ان يكون ، الى آخر المعزوفة المعروفة ! .

جواب الآنسة نازك الملائكة !!!

يفترض هذا السؤال ان ثمة شيئا منفصلاً يمكن ان نسميه بالنزعة الانسانية في الادب ، ثم يشغل نفسه بالبحث عن هذه النزعة في آدابنا الحديثة اقوية هي ام ضعيفة . وهو يجنح ايضا الى تقرير جواب من لون معين عندما يفترض ان الجواب سينتهي الى ان النزعة ضعيفة، ولذلك يحتاط ويلقي سؤالين حول اسباب هذا الضعف والسبيل الى «معالجته» . وهذا الاسلوب في صياغة السؤال ان لم يخط طريق الجواب خطا صارما فهو ولا شك يتطلب جوابا مقصوداً .

وعلى ذلك فلا بد للجواب ان يكون حذراً فلا يستسلم للفرض الذي بني

عليه السؤال . فما المقصود بالنزعة الانسانية قبل كل شيء ؟ او ليس الادب كله محصولاً انسانياً يعالج احاسيس الانسان وافكاره وانفعالاته واحداث حياته ؟ وهل كان محض صدفة ان الاوربيين يطلقون لفظ الانسانيات [Humanities] على الآداب اجمالاً تمييزاً لها عن الدراسات العلمية ؟ هذه اسئلة يتغافل السؤال عنها حين يتضمن معناه العام ان الانسانية نزعة صغيرة تقوى وتضعف ونستطيع نحن التدخل في تقويتها واضعافها .

واننا لنرجو الا يكون المقصود بالنزعة الانسانية هنا التعبير عن المشاكل والاحزان والمتاعب التي يعانيها افراد الجنس الانساني . فليس الشقاء بمجموعه الا جانبا صغيراً من المعاني الواسعة التي تتضمنها لفظة « الانسانية » ومن الغبن لهذه الكلمة العظيمة ان تتقلص وتتأكل حتى يقتصر محتواها على معنى (الالم). ولو كان المقصود بالنزعة هذا المعنى الصغير لما كان للاستفتاء داع ،فالادب العربي اليوم مصاب بجمى من صور الشقاء والتعاسة والاحزان ،وكأن حياتنا الانسانية الفذة بكل ما فيها من انطلاق وخصب وجمال قد انهارت وفقدت روحها وعزيمتها وسموها . وقد يكون هذا احد نتائج الدعوة الى اجتماعية الادب وهي دعوة اريد بها شيء فانتهت الى أشياء واشياء اخرى .

ولو سلمنا جدلاً بوجود نزعة انسانية ، وبان هذه النزعة ضعيفة في آدابنا الحديثة ، لما كان في وسعنا ، على كل ، ان نصنع شيئاً في معالجة الاشكال ، وذلك لان ضعف نزعة ما في الادب قضية معقدة تنشأ غالباً عن عوامل تاريخية وبيئية تجعل اقتراحاتنا ، حلولنا لا تزيد الأمر الا اشكالاً . والآداب لا تغير نزعاتها وفقا لآراء النقاد والصحف الادبية وانما تستجيب الى قوى خفية تتغلغل جذورها حتى تتصل بالذهنية العامة للامة ، والقوى المجهولة التي تكون نفسيتها وتاريخها الطويل . الا ينتهي بنا هذا الى التسليم بان ضعف الاتجاه الانساني — ان وجد — انما ينبع مباشرة من حياتنا الانسانية ؟ فاذا اردنا علاجاً فلنبحث في حياتنا نفسها عن السبب ، فليس الادب إلا مرآة تعكس الحياة ، وضعف النزعة الانسانية لا بد ان يكون نتيجة لضعف مقابل في انسانية الناس.

هذا فضلا عن ان الحديث عن « معالجة الضعف » الذي يفترضه السؤال ، يستطيع ان يتحول الى باب خفي ينتهي بنا الى مواجهة البلية التي يسمونها « توجيه الادب » ، ولا شيء يقتل الادب مثل ان يجد طريقه محفوفا بالموجهين والناصحين ومقترحي الحلول . يضاف الى هذا ما نشهده في التاريخ الادبي من ان الادباء الحقيقيين لا يتقبلون التوجيه الخارجي الذي لا تبرره عوامل داخلية تنبع من حياتهم نفسها .

جواب الدكتور جورج حنا

الجواب على هذا السؤال يختلف باختلاف نظرة الاديب الى النزعة الانسانية في الادب ومفهومه للانسانية نفسها. فاذا كان من ابناء مدرسة الادب التبشيري، جاء حكمه الى حد ما بمصالح الادب العربي الحديث ، اما اذا كان من ابناء مدرسة الادب الواقعي والعلمي والتحليلي ، فلا شك ان حكمه يكون قاسياً على الادب العربي الحديث لافتقار هذا الادب الى النزعة الانسانية الصحيحة التي لا يتبذلها ما اسميته الادب التبشيري .

ولست اقصد بالادب التبشيري الادب الذي يبشر بالدين وحسب، انما اقصد به كل نوع من الادب الذي يشغل الاديب بالوعظ والارشاد في اية ناحية من نواحي ادبه سواء كانت الناحية الدينية ام الاجتماعية ام الاقتصادية ام السياسية هذا الادب الذي يكثر فيه تسجيل قواعد التوجيه الديني والاقتصادي والاجتماعي والسياسي ، دونما اهتمام بتحليل هذه القواعد وانطباقها على العلم والواقع الانساني، الادب الذي تتكرر فيه كلمات « يجب ولا يجب » و «بديهي» «ولا جدال » وما على شاكل هذه الكلمات الفرضية ، الادب الذي يعظ الاغنياء بالاحسان الى الفقراء ولا يعنى بدرس مشكلة الفقر والغنى ، ويعظ الحكام بالاصلاح ولا يعنى بتتبع مستلزمات الاصلاح ، الادب الذي يشيد بالعدل الاجتماعي والحق والحرية ولا يجرؤ على الكشف عن اسباب فقدان العدل الاجتماعي والحق والحرية ، الادب الذي يتحدث كثيراً عن مشاكل الحياة والمعيشة ولا يغوص في اعماق الحياة ويشرح مشاكلها واسباب مشاكلها خشية ان يؤذي بتشريحه معقدي مشاكل الحياة والمعيشة . هذا النوع من الادب الذي ما زال شاغلا اكثر ادباء العرب بفضل التوجيه السياسي في العالم العربي وباشراف حلفاء اقوياء هم الاستعمار والرجعية والدين قد يعتقد حاملو لوائه انهم ينزعون نزعة انسانية في ما يكتبونه عن الاحسان والمحتاجين وعن العدل الاجتماعي وانصاف العامل والتضحية في سبيل النفع العام. ولكن نزعتهم هذه نزعة هوسية لانسانية خادعة وشوهاء لا تفيد النوع الانساني لا بقليل ولا بكثير .

النزعة الانسانية لا تكون الا في ادب متمرد على كل ما يمت الى الرجعية بصلة سياسة وثقافة واقتصاداً . فالرجعية كحليفها الطبيعي الاستعمار ، من شأنها تزييف الانسانية. الادب الانساني لا يستوحي الامن صميم الحياة وظروفها ومشاكلها هو الادب الذي يلهب حماسة العامة المضطهدة والمستعبدة ضد مستعمريها ومستثمريها ومجوعيها ،هو الادب الثائر على الخنوع والتواكل والصبر على الكلام ،هو الادب الذي يحمل مع كل عبارة من عباراته ثورة الذات الانسانية على كل ما يحط من قدر هذه الذات كالاحسان المذل او استثمار الانسان للانسان او تصنيف الانسان الى انسان سيد وانسان عبد .

على ان في الادب العربي الحديث تباشير آخذة بالانقشاع اكثر فاكثر على الرغم من محاولات السياسة الرجعية لطمسها . هذه تباشير تؤذن بفجر عهد جديد للادب العربي ، عهد تتجلى فيه النزعة الانسانية الحقة التي لا تشوبها شائبة ولا يشوهها زيف ولا نفاق ولا تدجيل .

جواب الاستاذ نهاد التكرلي

ان تعبير « النزعة الانسانية » قد حمل، منذ ان اوجده « الانسانيون » في عصر النهضة الاوربية حتى العصر الحاضر ، معاني مختلفة .ولذلك فمن الواجب تحديد معناه قبل الاجابة عن اي سؤال بصدده . ولا شك أن تحديد هذا المعنى سيحيل الى ميتافيزيقا الكاتب لانه سيظهر لنا الفكرة العامة التي كونها هذا الكاتب عن نفسه وعن الانسانية بصورة عامة والموقف الذي يقفه من الكون ومصير الانسان . وفي نظري ان « الذاتية الفردية » هي النقطة التي يبدأ منها الانسان عندما يستيقظ من سباته العقلي ويشعر بنفسه وبالعالم الذي حوله . وهذه الذاتية ليست سوى مرحلة ابتدائية فحسب ، لان الانسان ما يلبث بعد شعوره بذاته ان يكتشف بأنه يعيش بين افراد من بني قومه تربطه بهم مشاعر ومصالح واهداف مشتركة. فهم لا بد ان يكافحوا من اجل تحقيق غايات معينة وان عليهم ان يتألموا معاً ويفرحوا معاً وينتصروا معاً . غير ان هذا الانسان المتيقظ لا يمكن ان يرضى بهذه المشاعر والغايات الوطنية الضيقة لانه ما يلبث ان يشعر بأن هنالك حالات وغايات اخرى تربط الجنس البشري باسره . فهنالك مواقف اساسية في الكون لا تحدد حالته المخصوصة ولا حالة بني قومه فقط بل تحدد حالة « الانسان » بصورة عامة . وهنالك غايات عامة لا تهب به فقط ان يحققها ويكافح في سبيلها ، بل تهب بكل انسان ان يكافح من اجلها لكي يحقق بتحقيقها الكرامة الانسانية . فالانسان الذي يكتشف انه حر مثلا وان من الواجب ان يناضل ضد عبوديته ، لا يكتفي بهذا الاكتشاف فقط بل يدرك ان افراد الجنس البشري كلهم احرار، وان من الواجب عليه ان يؤيد كل نضال للحرية ضد العبودية في كل زمان ومكان.

(التتمة على الصفحة ٧٣)